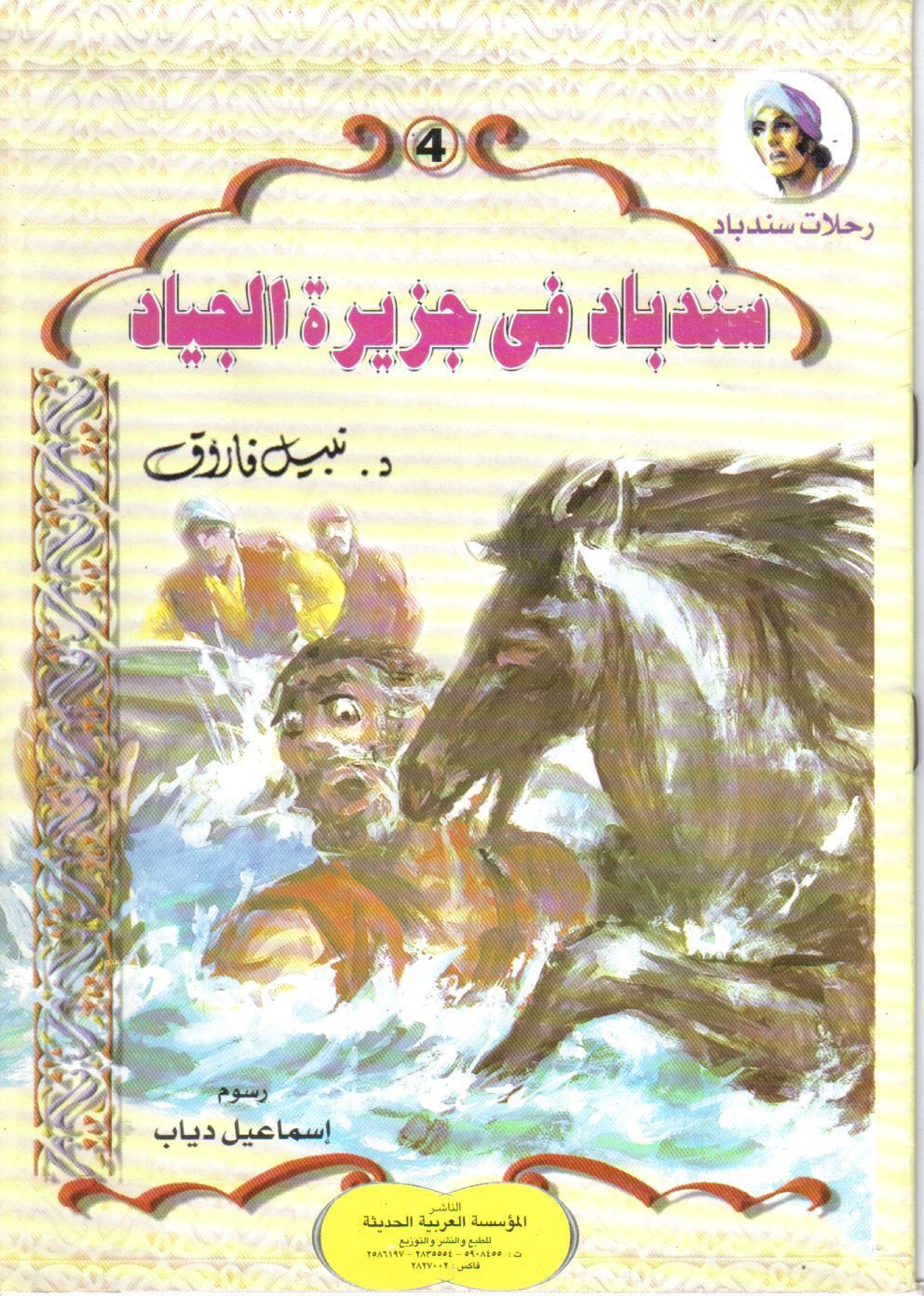


4
رحلات سندباد
سندباد فى جزيرة الجياد
د. نبيل فاروق
رسوم
إسماعيل دياب
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٢


4
سندباد
في جزيرة الجياد
بقلم
د. نبيل فاروق
رسوم
إسماعيل دياب
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٢

« السفينة تَحْتاجُ إلى إصْلاح يا (سِنْدِبَاد) .. » .
نطَقَ (صَفْوانُ) العِبَارَةَ فِى أَسَفٍ وَاضِحٍ ، وَهُوَ يُشيرُ إلى الإصاباتِ فِى جَانِبِ السَّفِينَةِ ، قَبْلَ أَنْ يَسْتَطْرِدَ :
- وَلا يُمكِنُنا إجْرَاءُ هَذِهِ الإِصْلاحاتِ فِى الْبَحرِ .. نَحْتَاجُ إِلى الرُّسُوِّ بِالْقُرْبِ مِنْ شاطِئٍ ما ، حتى يَعْمَلَ الرِّجالُ فِى هُدُوءٍ ..
الْتَقَطَ (سِنْدِبَاد) مِنْظَارَهُ الْمُقَرِّبَ ، وَهُوَ يَقُولُ :
- إِنّنا بَعِيدُون عَن الشَّاطِئ الآن يا صَدِيقى ، وَلَسْتُ أَدْرِى ما إذا كانَ هُنَاكَ جُزُر فِى الْجِوارِ .
أَدارَ مِنْظَارَهُ فِيمَا حَوْلَهُ ، بَحْثًا عَنْ أَيَّةِ عَلامَاتٍ ، تُشِيرُ إِلى وُجُودِ جَزِيرَةٍ قَرِيبَةٍ ، قَبْلَ أَنْ يُكْمِلَ :
- وَلِلأَسَفِ ، كُلُّ الدَّلائِل تُشِيرُ إلى عَدَم ...
بَتَرَ عبارَتَهُ بَغْتَةً ، وَمَالَ إلى الأَمَامِ فِى شَىْءٍ مِنَ الاهْتِمَامِ ، جَعَلَ (صفوان) يَسْأَلُهُ بِسُرْعَةٍ :
- هَلْ عَثَرْتَ عَلَى جَزِيرَةٍ يَاقُبْطَانُ ؟
أَجَابَهُ (سندبادُ) ، وَهُوَ يَتَطَلَّعُ عَبْرَ الْمِنْظَار فِى اهْتِمَامٍ شَدِيدٍ :
- نَعَم يَا (صَفْوانُ) ، وَهِىَ جَزِيرَةٌ مُثِيرَةٌ لِلانْتِباه بِحَقٍّ .
الْتَقَطَ (صَفْوانُ) مِنْظَارَهُ ، وَتَطَلَّعَ بِدَوْرِهِ إِلى حَيْثُ يَنْظُرُ (سندبادُ) ، وَتَصاعَدَتِ الدَّهْشَةُ إلى رَأْسه بِدَوْرِه ..
كَانَتِ الْجَزِيرَةُ التى يَرَاهَا ، عَلَى بُعْدِ عِدَّةِ أَمْيَالٍ بَحْرِيَّةٍ ، مُجَرَّدَ جَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ بَسِيطَةٍ فِيمَا عَدَا تِلْكَ الصَّخْرَةَ الْكَبِيرَةَ ، التى تَبْرُزُ فِى مُقَدِّمَتِها ، وَالتِى بَدَتْ أَشْبَهَ بِرَأْس وَعُنُقِ جَوَادٍ ، ظَهَرَا وَكَأَنَّ يَدًا بَشَرِيَّةً قَدْ صَنَعَتْهُمَا بِمُنْتَهى الدِّقَّةِ ، ثُمَّ نَالَتْ مِنْهُما عَوَامِلُ التَّعْرِيَةِ لِبَعْضِ الْوَقْتِ ..



وَفِى حَيْرَة ، قالَ (صفوانُ) :

ـ عَجَبًا .. لَقَدْ خُضْنَا هَذَا الْبَحْرَ عَشَرات الْمَرَّاتِ ، ولَكنَّنى لَسْتُ أَذْكُرُ أَبدًا أَنَّنا لَمحْنا شيئًا كَهَذا هُنَا .

أَجَابه (سِنْدِبَادُ) فى هُدُوءٍ :

ـ الْبَحْرُ لَهُ مُفَاجَاَتُهُ دَوْمًا يا صَدِيقى ، وَمِن حُسْنِ حَظِّنا أَنَّها جَزِيرةٌ قَرِيبَةٌ ، سَنَتَّجِهُ إِلَيْها عَلَى الْفَوْرِ ، لِيبدأ الرِّجَالُ عَمَلَهُم فِى السَّفِينَةِ .

انْطَلَقَتِ السَّفِينَةُ نَحْوَ الجَزِيرة بالْفِعْل ، وأَلْقَتِ الْهلْبَ عَلَى مَسَافَةِ أَرْبَعمِائَةِ مِتْرٍ مِن شَاطِئِهَا ، نَظَرًا لِضَحَالةِ الْمِيَاهِ فِى تِلْكَ الْمِنْطَقَةِ ، مِمَّا يَمْنَعُها مِنَ الاقْتِرابِ أَكْثَرَ .

وَبَيْنَما بَدَأَتْ عَمَلِيَّاتُ الإِصْلاَحِ فِى السَّفِينَةِ ، قَالَ (سِنْدبادُ) لِزَميله (صفوانَ) :

ـ مَا رَأْيُكَ فِى رحلَةٍ لاِسْتِكْشافِ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ ، بَدَلاً مِنَ الْجُلُوسِ تَحْتَ أَشعَّةِ الشَّمْسِ ، فِى انْتِظَار انْتِهَاءِ الإِصْلاحِ ؟

مطَّ (صَفْوانُ) شفتَيْه ، وَقَالَ :

ـ لا بَأْسَ يَا (سِنْدبادُ) ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ثِقَـتِى بأنَّ كُلَّ رِحْلَةٍ استِكْشافيَةٍ مَعَكَ تَتحوَّلُ إِلَى كَارثَةٍ .

ضَحِكَ (سندبادُ) ، وَهُوَ يَقُولُ :

- وَأَيَّةُ كارِثَةٍ يُمْكِنُ أَنْ تَحدُثَ ، فِي جَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ كَهذِهِ ؟

هَزَّ (صَفْوَانُ) كَتِفَيْهِ ، قائِلاً :

- وَمَنْ يَدْرِى ؟ مَعَكَ تَحْدُثُ الْكَارِثَةُ فِى قَدَحٍ من الْمَاءِ .

تَبادَلا الضَّحِكَات وَالْمِزَاحَ ، وَزَوْرَقٌ صَغِيرٌ يَنْقُلُهما ، مَعَ ثَلاثَةٍ مِنَ الرِّجَالِ ، إِلَى الْجَزِيرَةِ الصَّغِيرَةِ ، وَمَا أَن اسْتَقَرَّ الْجَمِيعُ فَوْقَهَا ، بِالْقُرْبِ مِن صَخْرَةِ رَأْسِ الْجَوَادِ ، حتّى أَشَارَ (سندبادُ) بيدِه ، قائلاً :

- الجَزِيرَةُ عِبارَةٌ عَنْ شَاطِئٍ دائِرِيٍّ ، مِنَ الرِّمَالِ وَالصُّخُورِ ، يَتَوَسَّطُه دَغَلٌ كَثِيفٌ .. سَنَخْتَرِقُ الدَّغَلَ إِلَى الطَّرَفِ الآخَرِ للجَزِيرَةِ ، ثُمَّ نَعُودُ إِلَى هُنَا ، قَبْلَ حُلُولِ اللَّيْلِ .

هَتَفَ به (صفوانُ) :

- لَحْظَةً يا (سندبادُ) .. هُنَاكَ شيءٌ أُحِبُّ أَنْ تَرَاهُ .

سَأَلَه (سِنْدِبادُ) فى اهتِمامٍ :

- أَىُّ شىءٍ هذَا ؟

وَاقْتَرَبَ يَتَطَلَّعُ إِلَى حَيْثُ يُشِيرُ (صَفْوانُ) ، الذى أَجابَ :

- هَذِهِ الآثَارُ عَلَى الرِّمال .. إِنَّهَا آثارُ حَوافِرِ جِيادٍ وَاضِحَةٌ ، وَيَبْدُو أنَه هُنَاكَ أَعْدادٌ كَبِيرَةٌ مِنْهَا .

تَطَلَّعَ (سِنْدِبَادُ) إِلَى الآثَارِ فِى دَهْشَةٍ ، قَائلاً :

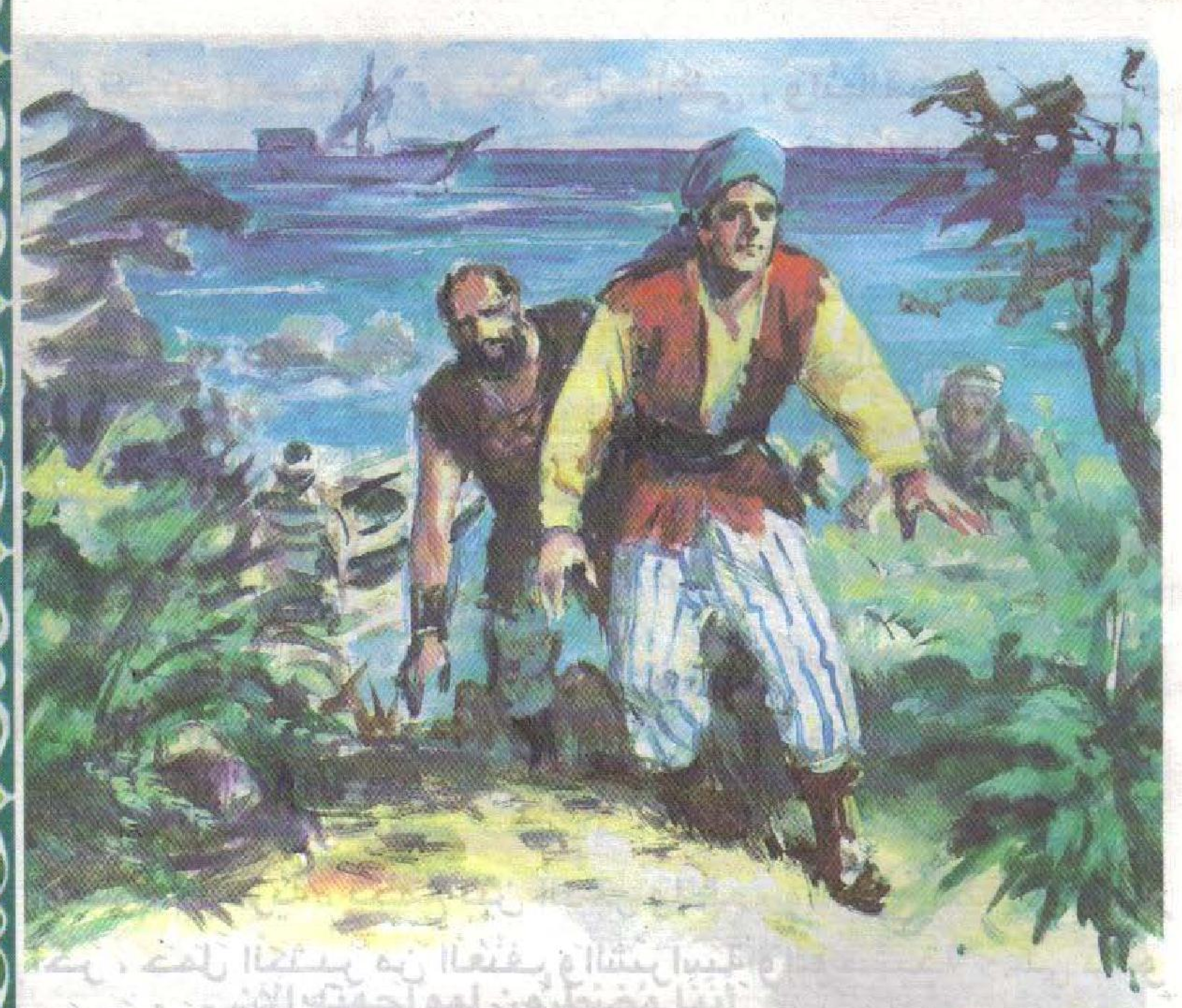
- عَجَبًا ! إِنَّها كَذَلِكَ بِالْفِعْلِ ، وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ تَأْتِى الْجِيَادُ عَلَى جَزِيرَةٍ مُنْعَزِلَةٍ كَهذِهِ ؟

أَدَارَ الْجَمِيعُ أَبْصَارَهُم حَوْلَهُم فِى حَيْرَةٍ ، قَبْلَ أَنْ يَقُولَ أَحَدُ الرِّجَالِ :

- المَكانُ يَبْدُو لى خالِيًا تَمامًا ياقُبطانُ .

أَيَّد زُمَلاؤُهُ قَوْلَه ، وَأَعَادَ الْجَمِيعُ النَّظَرَ فِيمَا حَوْلَهُم ، قَبْلَ أَنْ يَقُولَ (سِنْدِبادُ) فِى حَزْمٍ :

- فَلْيَكُنْ .. لَنْ يُوقِفَنا هَذَا .. سَنَخْتَرِقُ الدَّغَلَ كَمَا قَرَّرنا ، ثُم نعُودُ إِلَى هُنَا ، وَرُبَّمَا كَشَفْنا لُغْزَ هَذِهِ الْجِيَادِ ، فى أَثْنَاءِ فَحْصِنا لِلْجَزِيرَة .



اخْـتَـرَقُـوا الدَّغَلَ بِالْفِعلِ ، بَعْد أَنْ تَرَكُـوا أَحَد الرِّجَال الثَّلاثَةِ لِحِرَاسَةِ الزَّوْرَق ، وَسَأَلَ (صَفْوانُ) (سِنْدبَاد) ، وَهُمْ يَتَوَغَّلُون فى الْمَكَان :

- مِنْ أَيْنَ أَتَتْ آثَارُ حَوَافِرِ الْجِيَادِ فِى رَأْيِكَ يَاقُبْطانُ ؟!

أَجَابَه (سِنْدِبادُ) فِى هُدُوءٍ :

- لَسْتُ أَدْرى يا(صَـفْـوانُ) ، وَلَكِنْ رُبَّمَـا الْتَبَسَ عَلَيْنَا الأَمْـرُ ، وَكَانَتْ مُجَرَّدَ آثَارٍ قَدِيمَةٍ ، أَوْ تَأْثِيرًا لِبَعْضِ الأصـ ...

قَاطَعَه بَغْتَـةً صَهِيلُ جَوَادٍ ، يَنْبَعِثُ مِن قَلْبِ الدَّغَلِ ، فَهَتَفَ (صفوانُ) :

- يَا إِلَهى ! هُنَاكَ جِيَادٌ بِالْفِعلِ عَلَى الجزيرة !

وَلَمْ يُعَلِّقْ (سِنْدِبادُ) عَلَى عِبارَتِه ، فَقَدْ بَدَا لَهُ صَهِيلُ ذَلِكَ الْجَوادِ مُخْتَلِفًا ، قَوِيًا ، أَشْبَه بِنِداءِ زَعامَةٍ ، أَوْ هُتَافِ ظَفَرٍ ، مِمَّا جَعَلَه يَنْدفِعُ نَحْوَ مَصْدَرِهِ ، فَتَبِعهُ الْجَمِيعُ فِى لَهْفَةٍ طَبِيعِيَّةٍ ، حَتَّى بَلَغُوا مِنْطَقَةً خَالِيةً مِنَ الأَشْجار ، وَسَمِعُوهُ يَقُولُ مَبْهُورًا :

- رَبَّاهُ ! كَيفَ فَعَلَ هذَا ؟

ارتَفَعَتْ أَبْصَارهُم مَعَ نَظَرِهِ إِلى أَعْلَى ، وَانْطَلَقَتْ مِنْ حَنْجَرةِ أَحَدِ الرَّجُلَيْنِ شَهْقَةُ دَهْشَةٍ ، فِي حِينِ فَغَرَ (صفوان) فَاهُ فِى ذُهُولٍ ، دُونَ أَنْ يَنْبِسَ بِبِنْتِ شَفَة ..

فَأَمَامَهم مُبَاشَرةً ، وَفَوقَ قِمَّةٍ صَخْرِيَّةٍ عَالِيَةٍ ، يَصْعُبُ عَلَى الْمَرْءِ تَسَلُّقُها ، وَالْوُصُولُ إِلَيها ، كَانَ يَقِفُ جَوَادٌ أَبْيَضُ شَاهِقٌ ، مَمْشُوقُ الْقَوامِ فِى اعْتِدَادٍ مُدْهِشٍ ، لَهُ عُنقٌ قَوِىٌّ ، وَصَدْرٌ كَبِيرٌ ، وَيَتَطَلَّعُ إِلَيْهم فِى هُدُوءٍ مُثِيرٍ ..

وَفِى ذُهُولٍ ، هَتَفَ (صفوانُ) :

ـ كَيْفَ أَمْكَنَهُ الوُصُولُ إِلَى هُنَاكَ ؟

أَجابَه (سِنْدبادُ) فِى خُفُوتٍ :

ـ لا تَسْأَلْنِى .

لَمْ يَكَدْ يُتِمُّ عِبَارَتَهُ حَتى صَكَّتْ مَسَامِعَهم صَرْخَةٌ قَوِيَّةٌ ..

صَرْخَةٌ بَشَرِيَّةٌ ، تَجْمَعُ بَيْنَ الذُّعْرِ وَالأَلَمِ ، وَتَمْتَزِجُ بِصَهِيلِ جَوَادٍ آخَرَ ، حَمَلَ الْكَثِيرَ مِنَ الْعُنْفِ وَالشَّرَاسَةِ وَالْوَحْشِيَّةِ ، عَلَى نَحْوٍ ارْتَجَفَتْ لَهُ عُرُوقُهم ، وَهَتَفَ لَهُ (سندبادُ) :

ـ إِنّه زَمِيلُنا ، الذى تَرَكْنَاهُ لِحِراسَةِ الزَّوْرَقِ .. أَسْرِعُوا يَا رِجَالُ ..

وَاسْتَلَّ سَيْفَه ، وَهُوَ يَعُودُ أَدْرَاجَهُ إِلَى الْمَكَانِ ، وَالْجَمِيعُ يَتْبَعُونَه فِى سُرْعَةٍ ، حَتَّى بَلَغُوا مَوْضِعَ الزَّوْرَقِ ، فَهَتَفَ (صَفْوَانُ) :

ـ رَبَّاه ! .. مَا هَذَا بِالضَّبْطِ ؟

كَانَ الرجُلُ الذى تَرَكُوهُ مُلْقًى أَرْضًا ، وَالدِّمَاءُ تَسِيلُ مِنْ صَدْرِهِ فِى غَزَارَةٍ ، لِتَروِىَ رِمَالَ الجَزِيرةِ ، فِى حِينِ يَقِفُ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْهُ جَوَادَانِ أَسْوَدَا (اللَّوْن) اصْطَبَغَتْ حَوَافِرُ أَحَدِهِما بِالدَّم ..

وَفِى شَرَاسَةٍ ، اسْتَدَارَ الجَوادَانِ لِمُوَاجَهَةِ (سندباد) وَرِجَالِهِ ، فاسْتَلَّ (صفوانُ) سَيْفَه بِدَوْرِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

ـ جِيَادٌ قَاتِلَةٌ ؟! لَمْ أَسْمَعْ عَنْ هَذَا فِى حَيَاتِى قَطُّ .

صَهَلَ الجَوادَانِ ، فِى مُوَاجَهَةِ سُيُوفِ (سِنْدباد) وَرِفَاقِه ، وَبَدَا وَكَأَنَّهُما يَسْتَعِدَّانِ لِلقِتَالِ ، فَاتَّخَذَ (سِنْدبادُ) وَضْعًا قِتَالِيًا ، وَهُوَ يَقُولُ :

ـ أَنَا أَيْضًا لَمْ أَسْمَعْ عَنْ هَذَا مِنْ قَبْلُ يَا (صَفْوَانُ) ، وَلَكِنْ يَبْدُو



أَنَنَا مُضْطَرُّون لِمواجهَتِه الآن .

اسْتَدَارَ أَحَدُ الجوادَيْن بَغْتَةً ، وَارْتفَعَتْ قَائِمَتَاهُ الأَمَامِيّتَان ، وَهُوَ يُطْلِقُ صَهيلاً قَوِيًا ، ثُمَّ هَوَى بِحَافِرَيْهِ عَلَى الزَّوْرَقِ ، وَحَطَّمَ جُزْءًا مِن قَاعِه ، فصَاح (صفوانُ) :

ـ لا .. لَمْ يَعُدِ الأَمرُ يَحْتَملُ هَذَا .

وَانْقَضَّ عَلَى الجَوَادَيْن ، اللّذين تَراجَعَا لَحْظَةً ، ثُمَ أَطْلَقَا صَهِيلاً مُزْدوَجًا ، وَانْطَلَقَا مُبْتَعدَيْن بِسُرْعَةٍ كَبِيرة ، فَصَرخ (صفوانُ) ، وَهُو يُلَوِّحُ بِسَيْفه خلفَهما :

ـ عُودَا أَيُّها القَاتِلان .. عُودَا وَوَاجهانِي .

هَتَفَ به (سِنْدبادُ) :

ـ رُوَيْدك يَارجُلُ .. إنك تُوَاجهُ حيَوانين فَحَسْبُ .

صَاحَ (صَفْوَانُ) :

ـ هَذَان الحَيَوانان قَتَلا زَمِيلَنا ، وَحَطَّمَا زَوْرَقَنا .



أَجَابَهُ (سندبادُ) فِى حَزْم :

ـ هٰذَا لا يُبَرِّر تَعَامُلَنا مَعَهُما كَكائِنَيْن عَاقِلَيْن .

وَاتَّجَهَ يَفْحصُ الزَّوْرقَ الْمُحَطَّمَ وَجُثَّةَ الرَّجُل ، فَقَالَ أَحَد الرَّجُلَين الآخَرَيْن :

ـ يُمكننى أَنْ أَسبَح إِلَى السَّفِينَةِ ، وَأُحضِرَ زَوْرَقًا آخر .

أجابه (سِنْدبادُ) :

ـ لا دَاعِىَ لِهَذَا .. سَنُرسِلُ إِلَيهِمْ إِشَارَةً بالنِّيرانِ ، لِيُرسِلُوا زَوْرَقًا آخرَ ، قَبْلَ حُلولِ الظَّلاَم .

غَمْغَمَ (صفوانُ) مُتَوَتِّرًا :

ـ أَتَعَشَّمُ أَنْ يُسَارِعُوا بِهذَا ، فَالشَّمْسُ عَلَى وَشْكِ الْمَغِيب .

أَشْعل (سندبادُ) النِيرانَ ، وَلوَّحَ بالغُصْنِ المُشْتَعلِ للسَّفينةِ ، قَائلاً :

ـ هَلْ أَصْبَحت تَخْشَى الظُّلْمَةَ الآن ؟

أَجَابهُ (صفوانُ) ، وَهُوَ يَتَطَلَّعُ حَوْلَه فِى حَذَر :

ـ كَلاَّ ، وَلَكنَّنِى لا أَشْعُر بالارْتِيَاح لِوُجُودِنَا عَلَى هَذهِ الْجزِيرَة .. هُنَاك شَىْءُ مَا فِيها يَمْلأُ نَفْسِى بالْقَلَقِ وَالتَوتُّر .

تَنَهَّد (سِنْدبادُ) ، قَائلاً :

ـ اطْمئنّ يَا صَدِيقى .. دَقَائق وَيَصلُ الزَّوْرَقُ الآخَرُ ، وَنَعُودُ كُلُّنَا إِلَى السَّفِينَةِ .



رَأَى أَرْبَعَتُهم الزَّوْرَقَ الآخَرَ ، وَالْبَحَّارَةُ يُنزِلُونَه إِلَى الْمَاءِ ، وَعَلَى مَتْنِهِ رَجلٌ وَاحدٌ رَاحَ يَقُودُه إِلَى حَيْثُ يَقِفُون ، فَغَمْغَمَ (صفوانُ) :

ـ حَمْدًا لله .. هَذَا أَفْضَلُ كَثيرًا .

وتابعوا ببصَرِهم الزَّوْرَقَ ، وَهُوَ يَقْتَرِبُ وَيَقْتَرِبُ ، وَ...

وَفَجْأَةً ، بَرَزَ ذَلكَ الشيءُ مِنَ الْبَحرِ ..

جَوَادٌ أَسْوَدُ ضَخْمٌ ، بَرَزَ فَجْأَةً لِيَضْرِبَ الزَّوْرَقَ برَأْسِهِ ، وَيَقْلِبَهُ بِحركَةٍ مُبَاغِتَةٍ ، جَعَلَتِ الرّجُلَ عَلَى مَتْنهِ يُطْلقُ صَرْخَةَ فَزَعٍ ، فَصَاح (سندبادُ) :

ـ رَبّاهُ ! الجَوَادُ هَاجَم الزَّوْرَق .

اتسَعَتْ عَينَا (صَفْوان) فِي ارتيَاعٍ ، وَهُوَ يُغمْغِمُ :

ـ هَذَا مُسْتَحِيلٌ ! مُسْتَحِيل !

كانَ الرَّجلُ ، الذى سَقَطَ مِنَ الزَّوْرَقِ المَقْلُوبِ ، يُجَاهِدُ للعَوْدَةِ إِلِيْهِ ، وَلَكِنَّ الجَوادَ الأسْوَدَ انْقَضَّ عَلَيه فِي عُنْفٍ ، وَقَبَضَ بِأَسْنانه عَلَى عُنُقِهِ ، ثُمَّ جَذَبَه إِلَى الْقَاعِ ..

وَلِثوانٍ ، بَدا الصِّرَاعُ بَيْنَ الرجُلِ وَالجوادِ وَاضِحًا ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثِ الإِثنانِ أَنِ اخْتَفَيا تَحتَ السَّطحِ لِبِضْعِ لَحظاتٍ ، ظَهَرَ بَعْدَهَا الجوادُ ،

لِيُطْلِقَ صَهِيلاً مُفْعَمًا بالظَّفرِ ، ثُمّ يَغُوصُ مَرّةً أُخْرى تحتَ الماءِ ، وَيختَفى تمامًا ..

وَرَانَ صَمْتٌ رَهِيبٌ عَلى (سندباد) وَرِجَالهِ ، عَلَى سَطْح الْجزِيرةِ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ هُوَ أَنْ قطَعهُ ، وَهُوَ يُغَمْغِمُ :

- إِنّهم يَمنَعُونَنا مِن الرَّحِيل !

قَالَ (صفوانُ) فِى تَوَتُّرٍ بَالغ :

- أَلَمْ أَقلْ لكَ : هُنَاكَ شيءٌ مَّا يُصيبُنى بِالقَلَقِ وَالتَّوتُّر هُنَا .

انْعَقدَ حَاجِبا (سندباد) وَهُوَ يَقولُ فِى حَزْم :

- لا يُمكنُ أَنْ تَنتَصِرَ علينا الجِيَادُ .. إِنها مُجرَّدُ حَيَوَاناتٍ ، لاَ يُمكنُ أَن تَبْلغَ مُسْتَوى ذَكائِنَا قَطُّ .

أَشَارَ (صفوانُ) إلَى الشَّمْسِ ، الَتِى غَاصَتْ فِى الأُفُقِ ، قَائِلاً :

- وَلَكِنَّهَا أَجْبَرَتْنَا عَلَى قَضَاءِ اللَّيلِ هُنَا .

- قَالَ (سِندبادُ) فِى صَرَامةٍ :

- فَلْيَكُنْ .. وَلَكِنَّها لَنْ تُخِيفَنَا .. سَنُشْعِلُ نِيرَانًا كَبِيرةً ، وَنَتَبَادلُ الحِرَاسَةَ طُوالَ الوَقْتِ ، وَلَنْ تَجْرُؤَ الجِيَادُ عَلَى الاقْتِرابِ مِنَّا ، فِى وُجُود النِّيرانِ ، فَكُلُّ الْحَيَوَاناتِ تَخْشَى النّارَ .

جَمَعُوا كَمِيةً كَبِيرةً مِنَ الْحَطَبِ ، وَأَشْعَلُوا نارًا ضَخْمَةً ، الْتَفُّوا حَوْلَها ، وَقَالَ (سِندبادُ) :

- سَأَتَسلَّمُ نَوْبَةَ الحِراسَةِ الأُولَى ، ثُمّ ..



لَمْ يَكُنْ قَدْ أَتَمّ عِبارَتَهُ بَعْدُ ، عِنْدمَا أَطْلَقَ أَحدُ رجَالهِ شَهْقَةَ فَزَع ، وَقَفَزَ مُتَراجعًا فِي تَوَتُّر شَدِيدٍ ، فِي نَفس اللَّحْظَةِ التي هَتَفَ فِيها (صفوانُ) :

ـ رَبّاهُ ! انْظُرْ يا (سِندباد) !!

اسْتَدَارَ (سِنْدِبَادُ) إِلَى حَيْثُ يُشِير فى سُرْعَةٍ ، وَانْعَقَد حَاجبَاهُ فِى شدةٍ ، عِنْدمَا وَقَعَ بَصَرُه عَلَى أَرْبَعةٍ مِنَ الجيادِ ، يَقِفُون عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنهم ، وَتُطِلُّ مِن عُيُونِهم نَظَراتٌ قَاسيةٌ مُخيفةٌ ، وَ (صفوانُ) يَسْتَطْرِدُ :

ـ مَا الذِى يُرِيدُونَه مِنّا بالضَّبط يَا (سندبادُ) ؟

انحنَى (سِنْدبادُ) فِى حَذَر ، يَلْتَقِطُ غُصْنًا مُشْتَعِلاً ، وَهُوَ يَقُولُ :

ـ لَسْتُ أَدْرِى يَا (صفوانُ) ، وَلَكنّهمْ لَنْ يَجْرُءُوا عَلَى الاقْتِرَابِ ، فِى وُجُودِ كُلِّ هَذِهِ النِّيرَانِ .

ثُم رَفَعَ الغُصْنَ ، وَلَوَّحَ بهِ فِى وَجْهِ الْجَوادِ ، الذى ظَلَّ هَادِئًا سَاكِنًا يَتَطَلَّعُ إِلَى الغُصْنِ الْمُشْتَعِلِ فِى بُرُودٍ ، قَبْل أَنْ يُدِيرَ رَأْسَه إِلَى الْجِيَادِ الأُخْرَى ، وَيُطْلِقَ صَهيلاً خَافِتًا ، انْفَصَل عَلَى إِثْرِه جَوَادٌ آخَرُ مِنَ الْمَجْمُوعَةِ وَتَقَدَّم نَحْو النِّيرَانِ وَانحَنَى يَلْتَقِطِ مِنها غُصْنًا مُشتعلاً ،

ثُم أَلْقَاهُ فِى عُنْفٍ بِأَسْنَانِه نَحْوَ (سِنْدِبَاد) ، الذى تَراجَعَ فِى حِدَّةٍ ، وَ (صَفْوَانُ) يَهْتِفُ فِى ذُهُولٍ :

ـ مُسْتَحِيلٌ ! مُسْتَحِيلٌ ! لا يُمْكَنُ أَنْ يَحْدُثَ هَذَا .. مُسْتَحِيلٌ .

اسْتَلَّ (سِنْدِبَاد) سَيْفَه قائلاً :

ـ وَلَكنَّهُ حَدثَ ، وَيَبْدُو أَنَّنا سنُضْطَرُّ لِلقتالِ ، دِفاعًا عنْ حيَاتِنَا .

انْتَزَعَ صَفوانُ سيْفَهُ بِدَوْره ، وكَذَلك فَعَلَ الرجُلان ، وَبَدا وكَأَنّ الأَمْر سَيَتَحَوَّلُ بَغْتَةً إِلَى مَعْرَكَةٍ عَنِيفَةٍ ، و ...

وَفَجأَة ، أَطْلَقت الْجِيَادُ الأَرْبَعةُ صَهيلاً قَوِيًا ، شَقَّ سُكُونَ اللَّيْلِ ، وَبَدا أَكْثَر عُنْفًا مِن أَن يَتَنَاسَبَ مَعَ الْمَكانِ ، فَهتَف (سندبادُ) :

ـ اسْتَعدُّوا يَارجَالُ .

أَطْلقَ هُتَافَهُ ، مُتَصَوِّرًا أنَّ هَذَا الصَّهيلَ القَوىَّ مُقَدِّمةٌ لِهجُوم الجيَادِ الأَرْبعةِ ، إلا أَنَّه فُوجِئَ بها تَنْطَلِقُ مُبْتَعدةً ، حَتَّى تَخْتَفِىَ فِى قَلبِ الدَّغَل وَالظَّلاَم ، فَاتَّسعَتْ عَيْناهُ فِى دَهْشَةٍ ، قَائلاً :

ـ وَلكنْ لِماذا ؟! لماذا ؟

قَالَ (صَفْوانُ) فِى عَصَبِيَّة :

ـ (سندبادُ) .. يَنْبَغِى أَنْ نُغَادِرَ هَذِهِ الجزيرةَ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ .. البَقَاءُ هُنا أَصْبَحَ مَحْفوفًا بالمخاطِرِ .

أَشَارَ (سندبادُ) إِلَى الْبَحر قَائلاً :

ـ وَهَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّ الْمُغَادَرَة آمِنَةٌ ؟!

هَلْ نَسِيتَ مَا حَدَثَ للرَّجلِ الذى حَاوَلَ إِحْضَارَ الزَّوْرَقِ الآخَر ؟!

قَالَ (صفوانُ) مُحْتدًا :

ـ وَلَكِنَّنا لَنْ نَبقَى هُنَا إِلَى الأَبَدِ .

أَجَابَهُ (سندبادُ) وَهُوَ يَعْقِدُ حَاجِبَيْه فِى شِدَّةٍ :

ـ إِنَّنا مُضْطَرُّونَ للبَقَاء ، حَتَّى نَجدَ وَسيلَةً للمُغَادَرَةِ عَلَى الأَقَلِّ ، وَحَتَى ذَلِكَ الْحِينِ ، سَنُواصِلُ تَبادُلَ نَوْبَاتِ الْحِرَاسَةِ ، حَتَّى تُشْرِق الشَّمْسُ .

لَمْ يتَبادَلُوا الحَديثَ لِفتْرَةٍ طَوِيلَةٍ ، بَعْدَ قَوْله هَذَا ، وَتَولَّى هُوَ نَوْبَةَ الحِرَاسَةِ الأُولَى ، إِلا أَنَّ الآخَرِينَ لَمْ يُغْمِضْ لَهُم جَفْنٌ طَوِيلاً ،



ثُمّ لَمْ يَلْبَثِ النَّوْمُ أَنْ هزَمَهُم ، وَفَرَضَ سَطْوَتَه عليهم ، عَلَى الرَّغْم مِنَ الخطرِ المحيقِ بِهِم ، ثُمَّ ..

« (سندباد) .. (سندباد) .. اسْتَيقِظْ يا (سندباد) .. »

اشْتَرك صَوْت (صفوان) ، مَعَ هزَّاتِ يَده ، فِي إيقاظِ (سندباد) ، الذى فَتَح عَيْنَيْه فِي سُرْعَةٍ ، قائلاً فى توتُّر شَدِيد :

- مَاذَا هُنَاك ؟

كانتِ الشَّمسُ قَدْ أَشْرَقت مُنْذُ قَلِيلٍ ، وَغَمَرَتِ الْجَزِيرَةَ بِضَوْئِها وَدِفْئِها ، وَ (صَفْوانُ) يقُولُ مُتَوتِّرًا :

- انهَضْ وَانظُر .

هَبَّ (سِندبادُ) مِن رُقَاده ، وَنَظَرَ إِلَى حَيْثُ يُشير (صفوانُ) ، ثُمَّ شَهَقَ فِي دَهشةٍ قَوِيَّةٍ ، وَصَاحَ :

- اسْتَيْقِظوا يا رِجَالُ .. حَانت لَحْظَةُ القِتَال .

قَالَها ، وَهُوَ يَسْتَلُّ سَيْفَه ، فِي مُوَاجَهة الجِيَاد السَّوْدَاءِ ..

جَيْشٌ كَامِلٌ مِنْهُم ، كَانَ يَقِفُ أَمَامَ الدَّغَلِ ، فِي صُفُوفٍ مُتَراصَّةٍ مُنْتَظِمَةٍ ،

وَكَأَنّها فِرَقُ عَسْكَرِيّةُ تَسْتَعدّ للهُجُوم ..
وَبَدا مِنَ الوَاضح أَنَّ القِتَالَ لَنْ يُحْسَمَ لِصَالح (سندباد) وَرِجَالهِ قَطُّ ..
حَتَى وَلَو قَاتَلُوا بِكُلّ قُوَّتِهم ..
وَبِكُلّ أَسْلحَتهم ..
وَلثوانٍ ، ظَلَّ الموْقِفُ صَامِتًا جَامدًا ، كَصُورَةٍ فِى مَجلَةٍ خَيَاليَّةٍ ،
ثُم رَفَعَ زَعِيمُ الجيادِ السُّودِ قائِمَيْه ، وَأَطْلَق صَهِيلاً قَوِيًا ..
وانْقَضَّتِ الجيادُ ..
كَانَ انقضاضُهم عَنِيفًا للغَايَة ، وَعَلَى نَحْوٍ أَدْرَكَ مَعَه الرِّجَالُ الأَرْبَعَةُ أَنّ انْتِصَارَهم فى هَذِهِ الْمَعْركةِ مُسْتَحِيلٌ ، فَتَرَاجَعُوا بِسُيوفهم ، وَ(سندبادُ) يَهْتِفُ :
ـ قَاتِلُوا يَا رجَال .. لاَ تستَسْلِموا أَبدًا .. قَاتِلُوا بِكُلّ قُوَّتِكُم .
وَفَجْأَة ، وَقَبْلَ أَنْ يُتمّ هُتَافه ، ظَهَرَ الجَوَادُ الأَبْيَضُ ...
ظَهَرَ فَجْأَةً مِن خَلْفِهم ، حَيْثُ يَقَعُ الْبَحْرُ ، وانْدَفَعَ يَحُولُ بَيْنَهم وَبَيْنَ الجِيَاد السُّود ، وَهُو يُطْلِقُ ، صَهِيلاً قَويًا ، بَدَا مُخْتَلِفًا تَمامَ الاخْتِلاَفِ عَن صَهِيلِ الجِيَادِ الأُخْرَى ..
وَمَعَ ظُهُوره الْمُبَاغِت ، تَوَقَّف هُجُومُ الجِيَادِ السُّودِ بغْتةً ، وَتَراجَعُوا فِى بُطْءٍ ، وَكَأَنما يُوَاجِهُون خَصْمًا لا قِبلَ لَهم بِه ..
وَأَطْلَق الجَوادُ الأَبيضُ صَهِيلاً آخرَ ، انطَلَقتْ بَعْدَه الجِيَادُ الأُخْرَى هَارِبةً ، فَهتفَ (صفوانُ) :
ـ رَبّاهُ ! .. لَقد أَنْقَذَنَا .





الْتَفَتَ إِليْهِمُ الجوادُ الأبيضُ ، وَأَلْقى عَلَيــــهم نَظْرَةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ أطْلَقَ صَهِيلاً مُباغتًا ، وانْتَفَضَ جَسَدُه فِى عُنْفٍ ، ثُمَّ بَرزَ مِنه جَناحانِ كبيران ، ارتفعَ لِظهورِهِمَا حَاجِبا (سندباد) فِى دَهْشة ، وَهُو يَقُول :

- وَلكن .. ولكن ...

قَبل أَنْ يُضِيفَ شَيئًا ، حلَّقَ الْجوَادُ الأبيضُ فِى السَّماءِ كَطَائرٍ هائلٍ ، وَرَاحَ يَبْتَعِدُ ويَبْتَعِدُ ، وَمَعَ ابْتِعَادِهِ فِى اتِّجَاه الْبَحْرِ ، لَمَحَ الجَـمِيعُ الزورَقَ الإِضَافِىَّ مُسْتَقِرًا عَلَى الشَّاطِئِ ، فَقَالَ (صفوانُ) فِى دَهْشَةٍ :

- الزَّوْرَقُ يا (سندبادُ) .. لَقَدْ وَصَلَ سالِمًا .

حَدَّق (سندبادُ) فِى الزَّوْرق لحظة ، قَبل أَن يهتفَ :

- أَسْرِعُوا إِليْه يارفَاقُ .. سنغادِرُ الجزيرَة عَلَى الفوْرِ ..

كـان الزورقُ يَقْتَرِبُ بِهم مِن سَفِينَتِـهم ، مُبتعدًا عَن جَزِيرة الجِيَادُ عِنْدَما سألَ (صفوانُ) :

ـ مَا سِرُّ مَا حَدَث فِى هَذِهِ الجزيرة يا (سندباد) ؟ لِمَاذا فَعَلتْ بِنا الجيَادُ هذا ؟ وَمَا سِرُّ ذلك الجوادِ الأبيضِ ؟ هَلْ تَعْلَمُ ؟ لَسْتُ أعتقدُ أَنَّنى سَأَقْتربُ من هذِهِ الجزيرةِ ثانيةً .

صَمَتَ (سندبادُ) لحظاتٍ مُفكِّرًا ، قبل أن يقولَ :

ـ مَنْ يَدْرِى يا صديقى ؟ رُبّما كان هذا هو الغَرضُ من كُلِّ مَا حَدَثَ .. مَنْ يدرى ؟

فِى نَفْس اللّحظة التى نَطَق فِيها عِبارَتَهُ ، كانَ الجَوادُ الأبيضُ يَقِفُ إلَى جِوارِ زَعِيم الجِيَاد السُّودِ ، والاثنان يُتَابعان سفينةَ (سندباد) ، وهى تَبْتَعدُ ..

وتبتعدُ ..

وتبتعدُ ..

(تمت بحمد الله)

رقم الإيداع ٢٠٠٠/٢٣٢٠٠ - الترقيم الدولي ٩٧٧ - ٢٦٦



رحلات سندباد

هذه السلسلة تقدّم لك مغامرات جديدة ، من طراز خاص وفريد ..

إنها ليست رحلات (سندباد) السبع الشهيرة ، التى طالعتك من قبل ، فى (ألف ليلة وليلة) ..

إنها رحلات (سندباد) جديد ..

(سندباد) عصرى ، يمتزج فى مغامراته الخيال العلمى ، وروح الأساطير ، وعبق التاريخ ..

وفى كل مرة ستخوض مع (سندباد) وسفينته مغامرة جديدة .. ورحلة جديدة ..

وفى كل مرة سيحيط بك خليط من الغموض والإثارة والإبهار والحركة ..

هذا لأنها ليست رحلات عادية ..

إنها رحلات (سندباد) ..

(سندباد) الجديد .

